ممالك البلقان

السرب

يرجع اصل السربيين الى قبائل سلافية كانت تقوم على حراثة الارض في غاليسيا الى الشمال الشرقي من بلاد النمسا ثم نزحت جنوباً الى شواطىء البحر الاسود في اوائل القرن السادس لميلاد ومن هناك اخذت تتقدم غرباً الى ان نزلت البلاد المعروفة الآن ببلاد السرب . وكان السربيون في اول امرهم ينقسمون الى قبائل على كل منها امير وقلما تبطل الحرب بينهم لشدة منافسة الامراء وطموح كل منهم الى السيطرة على غيره

وفي اواخر القرن السابع قامت البلغار وعظم شأنها فتطاولت الى السيطرة عليهم فبقي امراؤهم نحو اربعة قرون يخضعون تارة للبلغار وتارة للروم

ثم قام منهم في اواسط القرن الثاني عشر امير يقال لهُ اسطفانوس نمانيا فجمع كلمتهم واستولى على اكثر المقاطعات السربية . وما زال خلفاؤهُ يغزون بلاد الروم ويجتاحون اطرافها حتى نشروا سلطانهم على القسم الاكبر من البانيا ومكدونيا وتتوج واحد منهم امبراطوراً على السرب والروم سنة ١٣٤٩ وكانت عاصمتهُ مدينة اسكوب التي استرجعتها السرب بالامس

ولما قوي شأن الاتراك ودخلوا بلاد البلقان وعجزت مملكة الروم عن صدهم كانت امبراطورية السرب قد اخذت في الانحطاط فخشي اهلها عاقبة الامر وبادروا الى اصلاح ما اختل من شؤونهم وكان عرش السرب خالياً بانقراض العائلة المالكة فملكوا عليهم رجلاً يدعى لازار ولكن السلطان مراد عاجلهم بالخيل والرجل فالتقى الجمعان في سهل قوصوه وكانت هناك الموقعة المشهورة التي فاز فيها العثمانيون وقُتل فيها السلطان مراد غيلة والملك لازار صبراً وذلك في الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٣٨٩

فصار السربيون يؤدون الجزية لسلاطين آل عثمان ولكن الامر فيهم بقي لامرائهم . ولما كانت سنة ١٤٢٧ قام منهم رجل اسمهُ جورج برنكوفتش وحاول الخروج على الاتراك فاستعان بهنيادي المجري وجماعة من المجر والسرب فاستظهروا على الاتراك في موقعة قوتوفيتزا سنة ١٤٤٤ ولكن السلطان محمداً الثاني غزا السرب سنة ١٤٥٩ فاكتسحها وضمها الى الاملاك العثمانية

ثم لما تطرّق الخلل الى الادارة العثمانية وآنس السربيون منها الضعف في اوائل القرن التاسع عشر انتهزوا فرصة عصيان الانكشارية في بلغراد والتفوا حول بطلهم جورج بتروفتش المشهور بقره جورج فشتتوا شمل الانكشارية وطردوهم من بلادهم واقاموا لهم حكومة مستقلة

ولما اثارت دولة الروس الحرب على الدولة العلية سنة ١٨٠٧ رأى الباب العالي ان يسالم قره جورج هذا ليكفي شرهُ فعرض عليهِ امارة البلاد السربية مع بعض الاستقلال فابى . ولكن روسيا اضطرت الى عقد الصلح مع الدولة لتتفرغ لصد اغارة نابوليون عليها وعقدت معاهدة بخارست مع الدولة العلية وبموجبها اعيدت السرب الى الدولة العلية فنشبتها العساكر العثمانية ثانية وامتلكت كل حصونها ومعاقلها ولم يرَ قره جورج الاَّ الفرار سبيلاً للنجاة

ولكن نار الثورة ما لبثت ان شبت ثانية سنة ١٨١٥ بقيادة الزعيم ميلوش ولم تأتِ سنة ١٨١٧ الاَّ وكانت بلاد السرب قد نالت الاستقلال الاداري من الباب العالي واقرت الدول هذا الاستقلال في معاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩

وعند ذلك كثرت المؤامرات السياسية لتبديل الامراء واغتيالهم ولكن البلاد تقدمت في العلوم والتجارة والصناعة رغماً عن ذلك . ولما تولى الامارة ميخائيل اوبرنوفتش غيّر نظام الحكومة من غير ان يستأذن الباب العالي واصلح الادارة ونظّم الجيش وعزّز مركزهُ بسياستهِ الخارجية واتفق مع اليونان والجبل الاسود والبوسنه والهرسك والبلغار والالبان على ان يقوموا على الدولة العلية قومة الرجل الواحد ثم ارسل الى الباب العالي يطلب خروج الجنود العثمانية من كل الحصون السربية . فرأى الباب العالي ان يجيب طلبهُ منعاً لوقوع شر مستطير تتاجج نارهُ في البلقان

وسنة ١٨٧٦ شهرت السرب الحرب على الدولة العلية فبعثت الدولة اليها عبد الكريم باشا بجيش جرار فشتت شمل جنودها وكاد يقضي على استقلالها لو لم تتدارك روسيا باعلان الحرب على الدولة العلية

وانتهت هذه الحرب بمؤتمر برلين فاعترف هذا المؤتمر باستقلال السرب فاصبحت مملكة مستقلة وذلك سنة ١٨٧٨

ولكن هذا المؤتمر شرط على الحكومة السربية ان تمد خطوط السكك الحديدية

وتعوض على الاتراك الذين اخذت املاكهم فازدادت نفقات خزينتها على قلة دخلها واضطرت الى عقد القروض وزيادة الضرائب مما نفّر الشعب من الحكومة والملك وقوّى الحزب المضاد لها

ولما ضُمّت الرومللي الشرقية الى البلغار قامت السرب لذلك وقعدت واخذت تصخب وتطالب بالتعويض لاجل حفظ الموازنة في البلقان واذ لم تجد لندائها مجيباً شهرت الحرب على البلغار فكان نصيبها الخذلان في ميدان القتال ولكن النحس وقف في وجه البلغار تفرجت السرب من هذه الحرب لا عليها ولا لها

واشتد النزاع بين حزبي البلاد السياسيين فكان احدهما يميل الى روسيا ويضاد الحكومة والآخر ينقم عليها لمساعدتها البلغار ويؤيد الحكومة فرأى الملك ميلان ان يتنازل عن عرش السرب لابنه اسكندر لشدة مضادة الحزب الاول لهُ . واذ كان ابنهُ قاصراً تولى الحكم اوصياء يحكمون بالنيابة عنهُ فعجزوا عن التوفيق بين الحزبين وبقي الخلاف بينهما يشتد حتى تمزقت اعمال الحكومة وتعطلت اشغالها . فهبّ الملك اسكندر حينئذٍ لتدارك ملكهِ وهو فتىً في السابعة عشرة من العمر فصرف اوصياءهُ واستلم زمام الحكومة بنفسهِ واظهر ميلهُ الى الحزب الروسي . ولكن القائمين بهذا الحزب لم يكونوا على رأي واحد فتعذر عليهِ ارضاؤهم وامسى موقفهُ حرجاً وخشي على عرشهِ من الضياع . فاستدعى اباهُ الى البلاد واخذ بسياسة الحزم والشدة فهدأ ثائر الاحزاب قليلاً وانصرف الناس الى الاهتمام باعمالهم فتقدمت الزراعة والتجارة لكن نقم عليهِ جمهور كبير من الشعب لجعلهِ اباهُ قائداً عاماً للجيش وتزوجه بمدام دراغا من حاشية والدتهِ . فنفى اباهُ وجعل الحكومة دستورية برلمانية ومال بكليتهِ الى السياسة الروسية طمعاً بارضاء الشعب . ولكن فريقاً كبيراً من شعبهِ بقي ناقماً عليهِ فقتلوهُ هو وزوجتهُ شر قتلة سنة ١٩٠٣ وتجد تفصيل ذلك في الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين من المقتطف . فدعي البرنس بطرس قره جيورجفتش لتولي الملك ولم يزل على عرش السرب الى يومنا هذا

واهم موارد البلاد الزراعة وتربية المواشي ومن حاصلاتها الذرة والحنطة والقنب والتبغ . ويستخرج من جبالها الفحم الحجري والرصاص والزنك والانتيمون والنحاس والحديد وقليل من الذهب والفضة . واكثر تجارتها في اصدار المواشي وقد بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩١٠ ٣٧٩٧٧٧٨ جنيهاً وواردتها ٣٢٢٩٢٥١ جنيهاً

البلغار

في اواخر القرن السابع لميلاد ظهرت في البلقان قبيلة من القبائل الطورانية الاصيوية الاصل قليلة العدد شديدة الوطأة تُعرف بالبلغار . نبت بها مواطنها ما بين جبال اورال ونهر الفولكا فغادرتها وواصلت السير عائثة بما تمر به من البلاد الى ان ضربت خيامها عند اسوار القسطنطينية وسلانيك . فرأى امبراطور الروم ان يتقي شرها بتخلية بلاد ميسيا لها واعطائها مبلغاً من المال كل عام . فاستوطن البلغار ميسيا واختلطوا بسكانها السلاف واقتبسوا لغتهم وعوائدهم وتمدنهم حتى اصبح الفريقان امة واحدة وغلب على ميسيا اسم بلغاريا او البلغار

وقويت شوكة البلغار وامتد سلطانهم ولم ينفجر عليهم القرن العاشر الاَّ ودانت لهم البلاد من البحر الاسود شرقاً الى بحر الادرياتيك غرباً ومن تساليا جنوباً الى جبال كرباثيا شمالاً وتلقب ملكهم بسلطان البلغار والروم وازهرت قاعدة ملكهم بالعلوم والفنون

ولم تطل مدة هذه السلطنة فانشقت الى مملكتين الواحدة الى الشرق وعاصمتها برسلاف والاخرى الى الغرب وعاصمتها اوخريدة . فاحتال الروم على سلطان الاولى فخلعوهُ عن العرش واخضعوا بلادهُ ولم يطل عمر الثانية فلحقت باختها

وسنة ١١٨٦ نهض البلغار بقيادة ابوان اسان وهو من سلالة ملوكهم فخلعوا نير الروم واسسوا سلطنتهم الثانية وكانت قاعدتها ترنوهُ . وازهرت هذه السلطنة بالعلوم والفنون والتجارة ولكن السربيين كانوا يخشون سطوتها اذا قويت عليهم فما زالوا يتحينون الفرص حتى حضدوا شوكتها سنة ١٣٣٠

وجاء الاتراك شبه جزيرة البلقان في القرن الرابع عشر واخذوا يفتحون الحصن بعد الحصن ويستولون على المدينة بعد الاخرى وامارات البلقان في شغل من المشاحنات والمنازعات حتى فتحوا مدينة ترنوه سنة ١٣٩٣ فدانت لهم بلاد البلغار وأُلحقت بالاملاك العثمانية وبقيت على هذه الحال نحو خمسة قرون

ولما دخل القرن التاسع عشر نهض اليونان والسرب لطلب الاستقلال وبقي البلغار في سبات عميق وجهل مطبق . ولكنهم ما لبثوا ان دبَّت فيهم روح العلم والتهذيب فاسسوا مدرسة بلغارية سنة ١٨٣٥ ولم تمضِ على تاسيسها عشر سنوات حتى قامت عشر مدارس اخرى على شاكلتها تعلّم اللغة البلغارية وتبث الروح القومية . وكان اول ما وجهوا اهتمامهم اليهِ بعد ذلك اخلاص من الاكليروس اليوناني فتم لهم فصل كنيستهم عن بطركية

الفنار سنة ١٨٧٠ اذ اصدر السلطان فرماناً يقضي باستقلالها ويمنحهم حق انتخاب اكسرخوس يرأسها ويقيم في الاستانة

وسنة ١٨٧٦ ظهرت روح الثورة في البلغار وحدثت المذابح المشهورة وشهرت روسيا الحرب على الدولة العلية فتطوع البلغار في العسكر الروسي واشتهروا بشجاعتهم وثباتهم . وأكره الباب العالي في معاهدة سان ستفانو على الاعتراف بمملكة بلغارية تمتد من الدانوب شمالاً الى بحر ايجه جنوباً ومن البحر الاسود شرقاً الى البانيا غرباً بشرط أن تبقى سلانيك وادرنه للدولة العلية . فنقضت دول اوربا ذلك في مؤتمر برلين وضيقت حدود البلغار الى ما بين نهر الدانوب وسلسلة جبال البلقان وجعلتها امارة مستقلة تحت سيادة السلطان وتحت الروملي الشرقية استقلالاً اداريًا

فاجتمع اعيان البلغار في ترنوه وسنوا دستوراً لحكومتهم على المبادئ الديموقراطية وانتخبوا اميراً عليهم البرنس اسكندر باتنبرج الالماني ابن امير هس ثم عملوا على التخلص من العمال الروسيين الذي حكموا البلاد في الفترة بين الحكم العثماني والاستقلال فجر ذلك غضب روسيا عليهم وعلى اميرهم لانهُ مالأهم على عملهم هذا . وقام في البلاد حزبان الواحد يرمي الى مجاراة روسيا في جميع رغائبها والآخر يقول باتباع سياسة بلغارية محضة

وسنة ١٨٨٥ قام البلغار في الروملي الشرقية على حاكمهم فخلعوهُ واعلنوا انضمامهم الى الامارة البلغارية فوافاهم الامير اسكندر واستقبلوهُ بالحماس الشديد . فجعلت روسيا تغري الدولة العلية بالتنكيل بهم ورأت السرب حرج موقفهم فشهرت الحرب عليهم ولكنها ارتدت مدحورة كما ذكر في الكلام على السرب واعترف الباب العالي بالامير اسكندر حاكماً على الروملي الشرقية

وبقيت روسيا تعمل على تقوية حزبها حتى اضطرت الامير اسكندر ان يتنازل عن الامارة . فتألفت لجنة من البلغار واخذت تطوف عواصم اوربا تطلب اميراً لهم واخيراً اجمع اعضاء الصوبرانية على انتخاب البرنس فرديناند وكان ضابطاً في الجيش النمسوي حين انتخابهِ

فاستلم اعباء الامارة سنة ١٨٨٧ وكانت احوالها الداخلية مضطربة والدول غير راضية عن تعيينهِ وروسيا تعمل على عرقلة مساعيهِ . ولكن ازمة الحكومة كانت في يد الوزير ستامبولوف الذي اشتهر بحنكتهِ ودرايتهِ في تسكين الاضطراب في البلاد وتمهيد السبل للامير الجديد . ولم تعترف يد الدول اميراً على البلغار وحاكماً على الروملي الشرقية الا سنة ١٨٩٦ بعد ان ارضى روسيا

وما زال البلغار يدأبون في تقوية امارتهم ورفع شأنها حتى حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ فاعلنوا استقلالهم ولم يسع الباب العالي الاَّ القبول بمطالبهم . فالبلغار الآن مملكة مستقلة حكومتها دستورية

واهم موارد البلاد الزراعة فتجود فيها الحنطة والذرة والشعير والشوفان والتبغ ويصنع فيها عطر الورد والخمر . ويربى فيها من الماشية الجاموس والخيل والبقر والغنم والمعزى وغيرها .

اما مصنوعاتها فقليلة واكثر المنسوجات تأتيها من النمسا غير ان الحكومة توجب على مستخدميها لبس المنسوجات الوطنية وتتخذ ثياب الجيش من مصنوعات البلاد . وتجارتها آخذة في التقدم وسنة ١٩١٠ بلغت قيمة صادراتها ٥ ١٦٤ ٠٠٠ جنيه وواردتها ٧ ٠٩٣ ٠٠٠ جنيه

ويمتاز البلغار على سائر الشعوب البلقانية بشدة صبرهم على المشاق وثباتهم في الاعمال وميلهم الى السلم والسكينة وقد بلغ عددهم ٤ ٣٢٩ ١٠٨ سنة ١٩١٠

العام الجديد

١٣٣١ هجرية

عام يمر مبارحاً ويعودُ فلكٌ يدور وليس ثَمَّ جديدُ
كدليل ركب حين يبلغ بغيتي فيؤوب — يصحب نُزَّحاً ويقودُ
والدُّرب تجتذب الجسوم فما لها إلاَّ الى ذاك السبيل ورودُ
والروح تأبى الانحطاط فتعتلي وتؤمُّ حيث الارتقاء تزودُ
والشمس حائرة تروح وتغتدي ما إن لها بعد الطواف ركودُ
والبدر يضحك والدراري بُسَّم كلٌّ له شأن وفخر مجودُ
عمر تجاذبهُ السنون فينقضي ميزان فيه الكهلُ والمولودُ
وتعاقُبُ الايام اصدق منذر وعليهِ حدثان العصور شهودُ
والناس أضراب فهذا غابث يلهو وذا استصبى حجاهُ سجودُ
زيد تعصب للمسيح وعامرٌ لمحمدٍ وتمت بذاك يهودُ
ذيَّاك يطمع في الخلود منعماً وسواهُ يدني أن يكون خلودُ
فئةٌ تحمِّن للشعوب تدينُّا وحلا لأُخرى في الشعوب جحودُ